

الرسالة

قال " الشافعي " : فإنما خاطب [بكتابه العرب] [ص 52] بلسانها على ما تعرّف من معانيها وكان مما تعرف من معانيها : اتساع لسانها وأنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامّاً ظاهرّاً يُراد به العام الظاهر ويُسْتغنى بأوّل هذا منه عن آخره .
وعامّاً ظاهراً يراد به العام ويَدُوّخُلُهُ الخاصُّ فيُسْتَدلُّ على هذا بدَعْض ما خوطب به فيه وعامّاً ظاهراً يُراد به الخاص . وظاهراً يُعرّف في سياقه أنّّه يُراد به غير ظاهره . فكلُّ هذا موجود علمه في أول الكلام أو وَسَطِهِ أو آخره .
وتبدت الشيء من كلامها يُبيِّن أوّل لفظها فيه عن آخره . وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوّلِهِ .

وتكلامٌ بالشيء تُعرّفُهُ بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرّف الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها .

وتسمّي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة وتُسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة . وكانت هذه الوجوه التي وصفتُ اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به - وإن اختلفت أسباب معرفتها - : مَعْرِفَةٌ (1) واضحة [ص 53] عندها ومستنكراً عند غيرها ممن جهل هذا من لسانها وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة فتكلّف القول في علمها تكلّف ما يجهلُ بعضه .

ومن تكلّف ما جهل وما لم تُثبته معرفته : كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير مَحْمُودَةٍ وإعلم وكان بخَطائئه غير مَعذُورٍ وإذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه .